﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء: 24]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الانتقالُ من إرشاد الأقوالِ إلى إرشاد الأفعالِ

بعد أنْ وجَّهت الآيةُ السّابقةُ الأبناءَ إلى تخيُّر الألفاظِ، والتَّجافي عن قبيحِها، انتقلَت إلى توجيه أفعالِ الأبناءِ في خفض الجَناح والتَّقرُّبِ لهما والدُّعاءِ بالرَّحمة والنَّجاةِ، فإذا حسُنَتِ الأقوالُ تبعَتها الأفعالُ، فبعدَ النَّهي عنِ الأقوال القبيحةِ حسُنَ الارتقاءُ في الوصيّة بالوالدين إلى التَّواضُع لهما، تَواضُعًا يَبلُغُ حدَّ الذُّلِّ لهما، بخدمتِهما إلى حدِّ إشغال الأوقاتِ في رعايتهما، لإزالة وحشَةِ نفسيهما إنْ صارا في حاجةٍ إلى مَعونَةِ الولدِ، والقصد من ذلك التَّخلُّقُ بشكرِهِ على إنعامِهما السّابقةِ عليه[1].

وبينَ الآيتين ترقٍّ في درجات البرِّ؛ فَذَكَرَ أوّلًا النّهي عن أقلِّ تأفُّفٍ منهما أو من أحدِهما، ثمّ انتقلَ إلى الرّحمةِ بهما، وخفضِ الجناحِ لهما، وأخيرًا ارتقى إلى دُعاء اللّهِ لهما برحمتِهما فترةَ حياتِهما، وبعد موتِهما، فيستمرُّ الابنُ على هذا النّهج حتّى يقضيَ حياتَه، فدعاؤه لهما يكونُ على مدى الحياةِ كلِّها، وكأنّ الأبوين (عنده) في حياتِهما وبعد موتِهما.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱخۡفِضۡ﴾: جذرُ الكلمة هو (خفض)؛ الخَفْضُ: ضِدُّ الرّفعِ، وقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ حثٌّ على تَليين الجانبِ والانقيادِ[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 70.
(2) الرّاغب، المفردات: (خفض).

2) ﴿جَنَاحَ﴾: جذرُ الكلمة هو (جنح)؛ الجَناحُ جناحُ الطّائرِ، قال تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام: 38]، وسُمّيَ جانبا الشّيءِ جناحَيهِ، وجَناحا الإنسانِ لِجانبيهِ، قال تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: 22]؛ أي: جانبك، واضمُمْ إليكَ جناحَكَ عبارةٌ عنِ اليدِ لكونِ الجَناحِ كاليدِ، ولذلكَ قيلَ لِجناحي الطّائرِ يداهُ[1].

3) ﴿ٱلذُّلِّ﴾: جذرُ الكلمة هو (ذلل)؛ والذّلُّ: اللّينُ، فالذُّلُّ: ضِدُّ العِزِّ[2]، والذّلُّ ما كانَ عن قهرٍ، والذُّلُّ متى كانَ من جهة الإنسانِ نفسِه لنفسِه فمحمودٌ؛ نحو قولِه تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: 54]، وهو هنا التّواضُعُ[3].

4) ﴿رَبَّيَانِي﴾: جذرُ الكلمة هو (ربو)؛ رَبا إذا زادَ وعَلا، قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ [فصلت: 39]؛ أي: زادَت زيادةَ المُتَرَبّي، وأربَى عليه أشرفَ عليه، ورَبيتُ الولدَ فَرَبا، وقوله: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: 276]، والرَّبوُ: الانبهارُ؛ سُمّيَ بذلك تصوُّرًا لتَصَعُّدِه، ولذلك قيلَ: هو يَتَنَفَّسُ الصُّعَداءَ[4]، وربا الشّيء يربو؛ إذا زادَ، وربا الإنسانُ الرّابيةَ يَربو؛ إذا عَلا، ويُقالُ: رَبَّيتُهُ وتربَّيتُهُ؛ أي: غَذوتُهُ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المُبالغةُ في التّواضُع والرّعاية للوالدين

أرشدَ قولُه تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ الابنَ إلى زيادة تبجيلِهما والتّلطُّفِ معهما في القول والفعلِ والمُعاملةِ على اختلاف ألوانِها، فبجانبِ القولِ الكريمِ الّذي يجبُ أن يقولَه لهما على الابن أن يكونَ مُتواضِعًا معهما، مُتلطِّفًا في مُعاشرتِهما،

(1) الرّاغب، المفردات: (جنح).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذل).
(3) الدّامَغانيّ، قاموس القرآن: (ذلل).
(4) الرّاغب، المفردات: (ربو).
(5) ابن فارس، مجمل اللّغة: (ربو).

لا يرفعُ فيهما عينًا، ولا يرفضُ لهما قولًا، مع الرّحمة التّامّةِ بهما، والشّفقةِ الّتي لا نهايةَ لها عليهما، وقولُه: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ تذكيرٌ للإنسان بحال ضعفِه وطفولتِه، وحاجتِه إلى الرّعاية والحنان؛ أي: وقلْ في الدّعاء لهما: يا ربِّ ارحمْهما برحمتِك الواسعةِ، واشملْهُما بمغفرتِك الغامرةِ، جزاءَ ما بذلا من رعايةٍ لي في صِغري، فأنتَ القادرُ على مَثوبتِهما ومُكافأتِهما[1]، وينبغي بحكم هذه الآية أن يجعلَ الإنسانُ نفسَه مع أبَوَيهِ في خير ذِلَّةٍ في أقوالِه واستكانتِه ونَظَرِه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

علَّةُ عطفِ الجملةِ على الجملة:

عُطِفَ قولُه تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ على الجملة السّابقة: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾؛ حيث بيَّنَتِ الأولى حُسنَ التَّعامُلِ والتَّأدُّبِ مع الوالدين قولًا، وبيّنَتِ الثّانيةُ التّذلُّلَ إليهما فعلًا باعتبارِهما السّببَ الأوّلَ في وجود الابنِ، فعليه أن يَذِلَّ لأقوالِهما وأفعالِهما وأوامرِهما ونواهيهما، وهذه الحالةُ أطلقَ عليها البلاغيّون: التَّوسُّطَ بين كمال الانقطاعِ وكمال الاتّصالِ؛ إذ توسَّطَتِ الواو بين الجملتين باعتبارها أداةَ وصلٍ لأمرين؛ **الأوّل:** أنّ بين هاتين الجملتين اتّصالًا في كونِهما إنشائيّتين، ووجود العلاقة الجامعةِ الّتي تبرِّرُ عطفَ الثّانية على الأولى، الّتي هي علاقةُ تكامُلٍ بين القول والعمل، و**الثّاني**: أنّ بينَهما مع الاتّصال اختلافًا من حيثُ المعنى.

الأقوالُ الكريمةُ لا تتكامَلُ إلّا بالأفعالِ الجميلةِ

بلاغةُ الاستعارة المَكنيَّة التّمثيليّة:

خَفضُ الجناحِ في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ

خفضُ الذُّلِّ للوالدين في الدُّنيا رافعٌ للولدِ في الآخرة

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 327 - 328.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/ 461.

ٱلرَّحۡمَةِ﴾ استعارةٌ؛ إذ استعارَ للذُّلِّ جناحًا، وأضافَه إليه مبالغةً، فإنَّ الطّيرَ إذا تذلَّلَ أرخى جناحَه إلى الأرض، كذلك الوَلَدُ، ينبغي أن يخضعَ لأبويه، ويُلَيِّنَ جانبَهُ، ويَتذلَّلَ لهما غايةَ جهدِه، وذلك مِنَ الرَّحمَةِ؛ أي: من إفراط الرّحمةِ لهما والرّقّةِ والشّفقةِ عليهما[1]، وهي استعارةٌ مَكنيّةٌ حُذِفَ فيها المشبّهُ به وهو الطّائرُ، وأبقى شيئًا من لوازمِه، وهو الجناحُ، وهي كذلك استعارةٌ أصليّةٌ؛ لأنّها حصلَت في الاسم. "وصيغَ التّعبيرُ عنِ التّواضُع بتصويرِهِ في هيئةِ تذلُّلِ الطّائرِ عندَما يَعتَريهِ خَوفٌ من طائرٍ أشدَّ منه؛ إذ يَخفِضُ جناحَهُ مُتذَلِّلًا، ففي التّركيب استعارةٌ مَكنيّةٌ، والجَناحُ تَخييلٌ بمَنزلةِ تَخييلِ الأظفارِ للمَنيَّةِ في قول أبي ذُؤيب:

وإذا المَنيَّةُ أَنشبَت أظفارَها*** ألفَيتَ كُلَّ تَميمةٍ لا تَنفَعُ.

ومَجموعُ هذه الاستعارةِ تَمثيلٌ[2]، ومثالُ إيضاحِ ما ليس بجليٍّ ليصيرَ جليًّا، وحكمةُ الاستعارة في هذا جعلُ ما ليسَ بمَرئيٍّ مَرئيًّا[3].

وقال الزّمخشريُّ[4]: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ فيه وجهان؛ **أحدُهما**: أن يكونَ المعنى: واخفِضْ لهما جناحَك، كما قال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الحجر: 88]، فأضافَه إلى الذُّلِّ؛ على معنى: واخفِضْ لهما جناحَك الذَّليلَ أو الذَّلولَ، **والثّاني**: أن يجعلَ لذُلِّه جناحًا خفيضًا مبالغةً في التَّذلُّل والتَّواضُع لهما؛ والمعنى: أنّه جَعَلَ اللّينَ ذُلًّا، واستعارَ له جَناحًا، ثمّ رَشَّحَ هذا المَجاز بأنْ أَمَرَ بخفضِه[5].

بلاغةُ الكناية في خفضِ الجَناحِ:

ثمّ أمرَهُ تعالى بالمُبالغةِ في التَّواضُع معهما بقولِه: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا

الولدُ البارُّ حَسَنُ التّـدبـيرِ مع والديه مُتواضِعٌ لهما

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 192.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 71.
(3) الزّركشيّ، البرهان: 3/ 433.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 658.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 26/ 2.

جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾، وقال القفّالُ: في تَقريره وجهان: **أحدُهما**: أنّ الطّائرَ إذا ضمَّ فَرخَهُ إليهِ للتّربيةِ خَفَضَ له جناحَهُ، فَخَفضُ الجَناحِ كنايةٌ عن حُسنِ التّدبيرِ، وكأنّه قيلَ للولدِ: اكفُلْ والِدَيكَ بأنْ تَضُمَّهُما إلى نفسِك، كما فعَلا ذلك بكَ حالَ صِغَرِكَ، **الثّاني**: أنّ الطّائرَ إذا أرادَ الطّيرانَ والارتفاعَ نَشَرَ جناحَهُ، وإذا أرادَ تَركَ الطّيرانِ وتَركَ الارتفاعِ خفَّضَ جناحَهُ، فصارَ خَفضُ الجَناحِ كنايةً عن فِعلِ التَّواضُعِ مِن هذا الوجه[1].

نكتةُ تقديم المجرورِ على المفعول:

اختصاصُ الأبوين بحفاوةٍ لا تليقُ إلّا بهما

تقديمُ الجارِّ والمجرورِ في قولِه تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ أفادَ التّخصيصَ، فقد خُصَّ الوالدان بهذا الاهتمامِ والحَفاوةِ، وبهذا الحذرِ في التّعامُلِ معهما، فرعايتُهما محورُ هذه الآية القرآنيّةِ الّتي ابتدأَت بأمرِ اللّهِ وقضائِه بعبادتِه وحدَه سبحانَه، وشفَّعَها بالأمرِ ببرِّ الوالدين.

توجيهُ المُتشابِهِ اللّفظيِّ:

التّذلُّلُ للوالدين لا يُشابِهُه تذلُّلٌ آخر

ذَكَرَ الذُّلَّ في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ بينما خلا منه قولُه تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشّعراء: 215]؛ إذ بولِغَ بذكرِ الذُّلِّ مع الوالدين، وذلك بسببِ عِظَمِ حقِّ الوالدين على خلاف عُموم المؤمنين، ولشرف المَأمورِ، فإنّه لا يُناسِبُ نسبةَ الذُّلِّ إليه[2]، فلا يصحُّ الذُّلُّ لأحدٍ مِنَ المَخلوقين إلّا للوالدين.

معنى حرف ﴿مِنَ﴾ ودلالتُه:

اندماجُ النّفس في رحمة الوالدين

حرفُ ﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ يصحُّ أن يكونَ لبيان الجنس؛ أي: إنّ هذا الخفضَ يكونُ مِنَ الرّحمةِ المُستَكِنَّةِ في النّفس،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 36.

(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/ 461، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 36.

لا بأن يكونَ ذلك استِعمالًا[1]، ويصحُّ أن يكونَ ابتدائيًّا؛ أي: إنّ الذُّلَّ النّاشئَ عنِ الرّحمةِ، لا عنِ الخوف، أو عنِ المُداهَنة[2].

معنى التّعريف في ﴿ٱلرَّحۡمَةِ﴾:

بـرُّ الـوالـديـن ناشِئٌ عن رحمةِ ولدهما بهما

التّعريفُ في لفظ ﴿ٱلرَّحۡمَةِ﴾ عِوَضٌ عنِ المُضاف إليه؛ أي: مِن رحمتِك إيّاهُما[3]، فتصيرُ رحمتُك بهما كشيءٍ لا يوصَفُ إلّا بقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾، وتفيدُ كذلك اعتيادَ النَّفس على التَّخلُّقِ بالرَّحمة باستحضارِ وُجوبِ مُعاملَتِه إيّاهُما بها حتّى يَصيرَ له خُلُقًا[4].

دلالةُ العَطفِ بين الجمل:

جـمـعُ أنـواع الـرّحـمـةِ والـبِرِّ للوالدين

قولهُ تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ عطفُ أمرٍ على أمرٍ سابقٍ؛ فالجُملتان إنشائيّتان، وبينَهما اتّصالٌ واتّفاقٌ في النّوع، وهما مُتغايرتان في المعنى، وفائدةُ هذا الوصلِ جمعُ أصنافِ الرّحمةِ، ظاهرًا وباطنًا، قولًا وفعلًا، ودُعاءً في حال حياتِهما وبعدَ موتِهما، وكانَ ذِكرُ رحمةِ العَبدِ مُناسبةً للانتقالِ إلى رحمةِ الله، وتنبيهًا على أنّ التَّخَلُّقَ بمَحبّةِ الوَلَدِ الخيرَ لأبَويه يَدفَعُهُ إلى مُعاملتِه إيّاهُما به، فيما يَعلَمانِه، وفيما يَخفى عنهُما، حتّى فيما يَصِلُ إلَيهما بعدَ مَماتِهما[5].

دلالةُ الأمر ﴿وَقُل﴾:

وجـوبُ الـدُّعـاء للوالدين

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ خَرَجَ إلى معنى الوجوبِ، فواجبٌ على الابنِ البارِّ الصّالحِ أن يبقى على عهدِه مع أبَوَيه، وإنْ فارقا الحياةَ، فمِن رحمتِه أن يدعوَ لهما، فيصيبَهُما بدعائِه عظيمَ الأجرِ والثّوابِ، فَتَحفَّهُما رحمةُ الله بدعاء ولدِهما لهما.

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/ 461.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 71.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 71.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 71.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 72.

غرضُ النّداء:

الدّعاءُ للوالدين في حياتهما وبعدَ موتهما

غرضُ النّداءِ في قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ التَّوطِئةُ إلى الدّعاء، فبيَّنَ العِلَّةَ في لزوم الدّعاءِ لهما، وبيَّنَ أنّه يَلزمُ الولدَ من الدّعاء للوالدين، أكثرَ ممّا يَلزمُهُ في غيرهما[1]، والدّعاءُ للوالدين يكونُ في حال وجودِهما في الحياة فترةَ رعايتِه لهما، وأمّا بعدَ وفاتِهما فلا يبقى له من برِّهما سوى الدّعاءِ لهما.

نكتةُ حذفِ حرفِ النّداء:

حُذِفَت أداةُ النّداء في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾، فلم يقُلْ: (يا رَبّ)؛ لقربِ المُنادَى مِنَ المُنادي؛ لأنّ الدّعاءَ للوالدين مُستجابٌ، فكانَ المُنادَى لقربِه لا يحتاجُ إلى واسطة.

سرُّ اصطفاء لفظِ الرُّبوبيَّة:

مُقتضى الرُّبوبيَّةِ تهيئةُ الوالدين في التّربية والرّعاية

اختيرَ لفظُ الرّبوبيَّة في قولِه تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ دون اسمِ (اللّه)؛ لأنّ الرّبَّ هو المُربّي، وهو الغفورُ الرّحيمُ، فجاء اصطفاءُ اسم الرّبِّ بالدّعاء للوالدين، وطلبِ رحمتِه منه سبحانَه؛ تنبيهًا على أنَّه المُربّي سبحانَه، فهو الّذي جَعَلَ من أسباب تربيةِ الولدِ الظّاهرةِ وجودَ الوالدين، فكان دعاءُ اللّهِ الرّبِّ الخالقِ أنْ يرحمَ الوالدين المُربّيين له، تذكيرًا بدورِ الأبوين في تربية الابن.

غرضُ الأمرِ في طلب الرّحمةِ:

دعاءُ الولدِ رحمةٌ وخوفٌ وإشفاقٌ

خرجَ الأمرُ في قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ إلى معنى الدّعاء، وهو الطّلبُ مِنَ الأدنى إلى الأعلى، "والرّحمةُ حِفظٌ للوُجود من اجتناب انتهاكِه، وهو مُقتضى الشُّكرِ، فجَمَعَ الشُّكرَ على ذلك كُلِّه بالدّعاء لهما بالرّحمة"[2]، والدُّعاءُ هنا فيه معنى الإشفاقِ والخوفِ على المَدعوِّ لهما.

(1) الكيا الهرّاسيّ، أحكام القرآن: 4/ 254.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 73.

بديعُ جناس الاشتقاقِ:

الرّحمةُ قاعدةُ البرِّ وأصلُ الإحسانِ

بينَ قولهِ: ﴿ٱلرَّحۡمَةِ﴾ وقولهِ: ﴿ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ جناسُ اشتقاقٍ، وفائدتُه التّنبيهُ على أهمّيّة الرّحمةِ في التَّعامُل مع الوالدين، وطلبها لهما في كلِّ حالٍ، فعندما يكونان في كنفِ الولدِ يكونُ في خدمتهما، فيَخفِضُ لهما جناحَ الذُّلِّ مِنَ الرّحمة، وعندما يُغادران الحياةَ فلا يكونُ له إلّا أن يدعوَ لهما ما دام على قيد الحياة.

نوعُ الكافِ ودلالتُها:

الكافُ مَحمولةٌ على التَّعليل أو التّشبيه

الكافُ في قوله تعالى: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾؛ إمّا أن تكونَ للتّعليل؛ أي: ربِّ ارحمْهما لتربيتِهما لي، وجزاءً على إحسانِهما إليّ حالةَ الصِّغَرِ والافتقارِ؛ فنبَّهَ على العلّةِ الموجبةِ للإحسان للوالدين، والبرِّ بهما، واسترحامِ اللهِ لهما، وهي تربيتُهُما له صَغيرًا، وتلكَ الحالةُ ممّا تَزيدُهُ إشفاقًا ورَحمةً لهما؛ إذ هي تذكيرٌ لِحالَةِ إحسانِهما إليه، وقتَ أنْ لا يَقدِرَ على الإحسان لنفسِه[1].

وإمّا أن تكونَ للتّشبيه الحقيقيِّ، قال الحَوفيُّ: الكافُ في مَوضِعِ نصبٍ، نعتٌ لِمصدرٍ محذوفٍ، تقديرُهُ: رَحمةً مِثلَ تَربيَتي صَغيرًا[2].

وإمّا أن تكونَ للتّشبيه المَجازيِّ، ويعبِّرُ عنه النّحاةُ بمعنى التّعليل في الكاف؛ أي: ارحمْهُما رحمةً تُكافِئُ ما ربيّاني صغيرًا، والمَقصودُ منه تمثيلُ حالةٍ خاصَّةٍ، فيها الإشارةُ إلى تربيةٍ مُكيَّفةٍ برحمةٍ كاملةٍ، فإنّ الأبوَّةَ تقتضي رحمةَ الولدِ، وصِغَرَ الولدِ يقتضي الرّحمةَ به، ولو لم يكُنْ ولدًا، فصارَ قولُه: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ قائمًا مَقامَ قولِه: كما ربيّاني ورحماني بتربيتهما[3].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 39.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 39.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 73.

فنُّ الاحتباك:

استحضارُ ثنائيّة الرّحمة والتّربية في الجانبين

في قولِه تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ احتباكٌ؛ حيثُ حَذَفَ التَّربيةَ مِنَ الأولى وذَكَرَها في الثّانية، وحَذَفَ الرّحمةَ مِنَ الثّانية وذَكَرَها في الأولى، والتّقديرُ: (ارحمْهما وربِّهما كَما رَبَّياني ورَحماني)، فصحَّ أن يكونَ لهما الرّحمةُ والتّربيةُ معًا، وقد ذَكَرَ أحدَهما في أحد الجانبين، والآخرَ في الآخر، كما يُلوِّحُ له التَّعرُّضُ لعنوان الرّبوبيّة[1].

فائدةُ جناس الاشتقاق:

تربيةُ الوالدين أثـرٌ مـن آثـار الرُّبوبيَّة

بين لفظِ ﴿رَّبِّ﴾ ولفظِ ﴿رَبَّيَانِي﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ جناسُ اشتقاقٍ، فائدتُهُ انسجامُ طلبِ الدّعاءِ مِنَ الرّبِّ الأعلى لرحمة المُرَبّيَين نَفسَيهما في حال كونِهما عاجزين أو مُتَوَفّيَين.

سرُّ التَّقييد بالحال ﴿صَغِيرٗا﴾:

البِرُّ مُحاطٌ بتحقيق الرَّحمةِ لا بإقناع الوالدين

عنايةُ الوالدين بالولد يكونُ في جميع أحوالِه، لكنَّ التّقييدَ بحال كونِه ﴿صَغِيرٗا﴾، يُظهِرُ جانبَ الرَّحمة، فإنَّ الوالدين أشدُّ ما يكونان رحمةً بابنهما حالَ كونِه صغيرًا، وتبدأُ التّربيةُ بالحوار والعقل والضّبط في حال كونِه كبيرًا، وليس المَطلوبُ مِنَ الابن أن يُعامِلَ والديه بالضّبط والحوار والإقناع، بل بالرّحمةِ والتّذلُّلِ والخضوعِ، فهذا سرُّ التَّقييدِ بالحال.

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 192.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»